1. عصر الشاعر

يعتبر السودان بمساحته الشاسعة_سابقاً_ ذاخراً بالعديد من الثقافات والإثنيات التي شكلت نسيجه الاجتماعي عبر حقب من الزمان توالت عليه خلقت فيه مجتمعاً متعدد الأعراق، كما أن اختلاف ثقافات الجماعات المهاجرة من مختلف أنحاء العالم العربي، أو من أفريقيا صبغ الثقافة السودانية، بتفرد ميزها عن غيرها من الثقافات.

لقد كان السودان قبل انفصال جنوب السودان عنه "ينفرد باتساع رقعته، وطول حدوده وتباين بيئاته، ... وقد ساعد هذا التفرد في السعة على تأثره بهجرات بشرية متعددة وتيارات ثقافية وحضارية متباينة[1]

وبما أن تلاقح الثقافات، يولد إرثاً ثقافياً إنسانياً فقد حدث هذا في السودان، والمتفحص في نسيج المجتمع السوداني، يجد فيه تعدداً في القيم الثقافية المكتسبة من هذا التلاقح والتماذج والتي أثرت في الإنسان السوداني ومنحته سماته الخاصة به المتمثلة في الذهن المتوقد وعمق الفكر، حتى أن رفاعة الطهطاوي قال: "إن للسودانيين قابلية للتمدن الحقيقي لدقة أذهانهم، فإن أكثرهم قبائل عربية، يدل على ذلك اشتغالهم بما ألفوه من العلوم الشرعية"[2]، واستفاد السودان كثيراً من مجاورته للعديد من الدول العربية والإفريقية، في تشكيل الحياة السودانية، ولا يعني هذا إنكار الذاتية السودانية التي مثلت نواة انبنت عليها مؤثرات الثقافات المجاورة.

لقد ساهم الاحتلال التركي المصري في إثراء الحياة العلمية والثقافية، فظهرت الصحافة و التعليم وغيرهما، مما زاد الوعي الثقافي، "وقد اختار محمد على باشا بعض الناشئة،

---

[1] الطريفي، العجب أحمد (دكتور) دراسات في الوحدة الوطنية في السودان، دار جامعة الخرطوم للنشر، الخرطوم، السودان، 1988م، ص32.

[2] نقلا عن ضيف، شوقي (دكتور)، عصر الدول والإمارات (الجزائر، المغرب الأقصى، موريتانيا، السودان)، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1 1995م، ص650-651.

وقام بإدخالهم في المدارس المصرية لتلقي العلوم وتذوق علوم التمدن والحضارة حتى يتمكنوا من نشر ذلك عند العودة إلى ديارهم بالسودان"[1].

والتعليم سبب من أسباب التغير في الحياة السودانية، به حمل المجتمع سمات المدنية الحديثة، وظهرت عليه بوادر الرقي الذي أدى في نهاية الأمر للمطالبة بالحقوق السياسية وغيرها.

وفي المهدية كان الاهتمام الأكبر بالعلوم الدينية، بسبب ما تحمله الثورة المهدية من ملامح دينية، ومن خلال أفكارها ومعتقداتها والأثر الذي أحدثته في نفوس السودانيين، وبذلك ظل السودان في أيامها ما بين 1881م إلى 1898م، بعيدة عن التعليم الحديث[2].

نخلص مما سبق أن فترة حكم المهدية من قيامها حتى زوالها بالاحتلال الإنجليزي، تعتبرها فترة ركود في الحياة العلمية وانغلاق للمجتمع على نفسه، وعدم اتصال بثقافات الغير وهذا أضر كثيراً بالحياة الأدبية.

جاء الاحتلال الإنجليزي المصري يحمل بذور الثقافة الغربية، وكان للبعثات التي ترسلها الحكومة للدراسة بالمملكة المتحدة كان لها الأثر الكبير في تفتح آفاق الطلاب فعادوا يحملون ملامح ثقافات وآداب البلاد التي تعلموا فيها، مما أدى لإحداث نقلة في حياة الإنسان السوداني بصورة عامة، فظهرت الجمعيات الأدبية مثل جمعيات الاتحاد، وأبو روف، الهاشماب، وودمدني وغيرها، التي تكونت في عهد الاستعمار وا ن كان الهدف الأساسي منها هو محاربة المستعمر وأفكاره وفضح ممارساته، إلا أنها اهتمت بالأدب من خلال نظم الشعر ومسابقاته

---

[1] ضيف، شوقي _عصر الدول والإمارات ، ص650.

[2] أنظر شبيكة، مكي(الدكتور)، السودان عبر القرون، دار الجيل، بيروت، ط3، 1991م، ص371، 372، 373، وص381، 382

ونقد الكتابات الأدبية في هذه المنتديات،مما أحدث أثراً عظيماً في نهضة الحياة الأدبية وتجديد أشكال الأدب القديم.

وكان لطلاب المعهد العلمي وكلية غردون التذكارية دور في رفد حياة المجتمع السوداني بعوامل الحضارة والمدنية، من خلال ما يتلقونه من علوم وثقافات. "فنشط الفكر السوداني، في الحياة والاجتماع والثقافة والفن والأدب"[1].

وتزامن ذلك مع قيام نادي الخريجين "في فبراير سنة 1938م"[2] البوتقة التي انصهرت فيها الجمعيات الأدبية السرية، وضم النادي أفذاذاً من رواد الحياة الأدبية والثقافية في السودان أمثال: محمد أحمد محجوب وعرفات أحمد عبد الله ويوسف مصطفى التني وغيرهم ممن كان لهم القدح المعلى في الحياة الأدبية، وقد لمع في هذه الفترة نجم بعض الأدباء والنقاد أمثال حمزة الملك طمبل ومعاوية محمد نور ومحمد أحمد محجوب وغيرهم.

أما الفترة التي تلت الاستقلال عام 1956م فهي فترة تحول في حياة المجتمع السوداني، طرأ على الأدب فيها تغير كبير حيث التفت الأدباء لكل أجناس الأدب وموضوعات الحياة بعد أن كانوا قبل الاستقلال يوجهون جهدهم الأدبي وجهة سياسية ضد الاستعمار لفضح جرائمه والعمل على التخلص منه[3] وبعد خُروجه كثرت الأعمال الشعرية والقصصية والمسرحية، الداعية للتخلص من تبعات الاستعمار والتي تبين الرؤى والتوجهات الحزبية العديدة في حكم البلاد وعلاقاتها مع جيرانها وغيرهم، ولكن مع هذا كله لم تخبُ جذوة الشعر إلى جانب غيره من ضروب الأدب، وظهر شعراء كبار انتجوا أعمالاً لا يمكن غض الطرف عنها أمثال حمزة

---

[1] أنظر ضيف، شوقي، عصر الدول والإمارات، مرجع سابق، ص653.

[2] السودان عبر القرون، ص543

[3] أنظر بدوي، عبده(الدكتور)، الشعر في السودان، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1981م، ص124، وص128

الملك طمبل الذي له (ديوان الطبيعة) وكتابه في النقد (الأدب السوداني وما ينبغي أن يكون عليه) [1].

وجد السودانيون بعد الاستقلال كياناً تعليمياً مترهلاً، يسمى تعليماً حديثاً لأنه شبه التعليم الغربي، ويسمى تقليدياً لأنه لايراعي الحداثة العلمية والتعليمية، يرتكز بعضه على المدارس الحكومية وبعضه على المدارس الأهلية والخاصة، وثالث يتبع النهج المصري في التعليم ورابع تابع للطوائف الدينية، وخامس تديره الهيئات التبشيرية المسيحية[2]، هذا التنوع خلق كياناً متعدد الثقافات وا ٍن أسهمت هذه المدارس في نشأة أجيال متطلعة إلى المعرفة راغبة في الاستزادة.

وشهدت الساحة الأدبية بروز عدد من الأدباء في شتى ضروب الأدب، وخاصة بعد الافادة من الآداب الغربية، بعد عودة البعثات العلمية مما أنتج لنا أجيالاً من الأدباء والمثقفين ذوي الآفاق الواسعة المتطلعة إلى الاستزادة الطامعة لنهضة حركة الأدب.

الشعر بعد الاستقلال:

عند النظر إلى الشعر بعد الاستقلال نجد أن أغلب الشعراء كانوا ممن عاصر الاستعمار، وكان كثير من شعرهم نظم في عهد الاستعمار، وقد تعددت مدارس الشعر بعد الاستقلال فكانت هناك المدرسة التقليدية التي كانت تنادي بالمحافظة على القديم، والتجديدية التي نادت بنهضة الأدب والشعر والتخلص من القديم، و إلباس الشعر ثوباً عصرياً يواكب رصيفه العالمي بصورة عامة، وكان من نتاج ذلك ظهور الشعر الحر اختلاف مسمياته، ونما الذوق الشعري فتعددت الأغراض والموضوعات والأساليب والصور، وعني الشعراء بالقضايا التي تشغل المجتمع فكان هناك الشعر الغنائي والوجداني والمغنى؛ فابدع الشعراء في تصوير المجتمع والتغيرات الطارئة عليه.

---

[1] أنظر الشعر في السودان، ص133، 134

[2] أنظر الطريفي، العجب أحمد (دكتور)، دراسات الوحدة الوطنية في السودان، دار جامعة الخرطوم، السودان، ب. ط 1988م، ص171.

إن السعي وراء الجديد والتمرد على القالب القديم أنتج تيارات أدبية حاولت ايجاد لونية شعرية خاصة تخرج من قوقعة القديم وتواكب حركة الشعر في العالم، فكانت هنالك مدارس استطاعت أن تضع بصماتها على الشعر في السودان، ولعل أشهر المدارس الشعرية بعد الاستقلال مدرسة (الغابة والصحراء) التي تأسست في العام 1962م على يد عدد من الطلاب الخريجين وعلى رأسهم الشعراء عثمان النور أبكر، ومحمد المكي إبراهيم، ومحمدعبدالحي[1]، وقد أنتجت شعراً رصيناً ، له أثره على الأدب السوداني.

أخلص من هذا كله إلى أن مكانة الشعر في الحياة الأدبية بعد الاستقلال شاركت أجناس الأدب الأخرى في إبراز ملامح الأدب السوداني المعروفة حتى الآن.

[1] أنظر، الشعر في السودان، ص230